الم ُسامحة من عزم الأمور



◄قال تعالى: (وَلَمَن ْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِن َّ ذَلَيكَ لَمَن ْ عَز ْمِ الأَمُورِ) (الشوري/ 43).

عبارة (عزم الأمور) إشارة إلى العمل الذي أمر ا□ تعالى به، ولا يمكن أن يـُنسخ، وقيل إنّه من الأعمال التي يجب أن يشدّ الإنسان العزم لها. ومجيء (الصبر) قبل (الغفران) في الآية دليل على أنّ العفو والغفران لا يمكن أن يحصلا بدون الصبر؛ لأنّه مع افتقاد الصبر يفقد الإنسان سيطرته على نفسه ويحاول الانتقام مهما كان، فالصّبر هو الآلة التي ينجز بها فضيلة (المـُسامحة).

فالمُسامحة تتطلَّب قوَّة واقتدارا ً وتصميما ً (عزم الأمر) لإنجازها، لأنَّها ليست حلية تُلبَس أو زينة يُتزيَّن بها، بل هي (مَلَكَّة) يجب أن تتوفَّر في سبيل استحصالها قوَّة ُ عزيمة واستشعار ُ واستحضار ُ لكلَّ القَيِيَم التي تُشكَّلِ منظومة التسامح كقيمة كلَّيِة أو شمولية.

والتسامح من (عزم الأمر)؛ لأنّه ارتفاع بالموقف عن النوازع الذاتية التي تُحرّ ِكها العوامل الغريزية، واتّ ِصال العزم بالصبر والإرادة لإنتاج المُسامحة هو مقدّمة ضرورية، وبمعنى آخر، إذا أردنا أن نكون من حزب المصالحين، فلابد من تعلّم الصبر أو لا ً لنتمكّن من السيطرة على النفس التو ّاقة إلى النفس التواّقة إلى النفس على النفس على التشفّ على التشفّ على الشتم والإهانة والإساءة، فهي إن تُركت على هواها داوت الألم النفسي بالهياج النفسي، وإن تعاطت عقار الصبر عالجت ألمها بدون المشرط والسّيكّ عِن، فالعفو عند المقدرة يتطلّب عقار (الصّبر).

يقول تعالى: (وَ إِنَا مَا غَصَبِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ) (الشوري/ 37).

وفي الحديث والسيرة: "ما انتقم النبيّ (ص) لنفسه قطّ، إلا أن تُنتهَلُك حُرمات ا∐"!.

ولا تعارض أو تنافي بين هذا وبين قوله تعالى: (وَالسَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ هُمْ يُ هُمْ يَابِي يَنْ تَصَرِرُونَ) (الشورى/ 39). فلكلَّ ِ آية مجالها الحيوي الذي تتحرَّك فيه، فا□ تعالى يأبى الظلم البغي والطغيان والعدوان، ولذلك اعتبر الانتصار عند البغي واجبا ً وفضيلة؛ لأنَّ التذلَّل لم َن بغى واستعلى وأفسد يتنافى مع عزَّة المؤمنين.

يقول سيّ ِد الشهداء الإمام الحسين بن علي (ع) في إبائه للضّيهْم: "يأبى ا⊡ُ لنا ذلك ورسوله والمؤمنون وحُجُورٌ طابَت وطَهُر َت وأنُوفٌ حميّةٌ ونُفوسٌ أبيّةٌ أن نُؤ ْثِر َ طاءَةَ اللّّ ِئام ِ عَلَى مَصارِعَ الكَرِام"!.

ويقول (الرازي) في تفسيره: العفو قسمان:

الأوّل: أن يكون سببا ً لتسكين الفتنة، وتهدئة النفوس، ورجوع الجاني عن جنايته، وهذا محمود، تُحمل عليه آيات العفو، مثل: (و َأَن ْ ت َع ْفُوا أَ ق ْر َب ُ ل ِلمَّ ّ َق ْو َى) (البقرة/ 237). وهذا مرغوب ٌ فيه داخل الأ ُمَّة الواحدة.

الثاني: أن يكون سببا ً لتجرَّؤ الظالم وتماديه في غيِّه واستضعافه الأُمَّة، وهذا مذموم، تحُمل عليه آيات الحثِّ على الانتقام، وهو واجب في مقاومة العدوِّ الخارجيِّ، وعند اغتصاب الحقوق.

لقد كان رسول ا□ (ص) — كما كان أخوه يوسف (ع) من قبل — قادرا ً على الانتقام والفتك بق ُريش، أو مؤاخذتهم، ومقابلتهم على صنيعهم الم ُخزي، لكنه عفا عن أهل مكهّ بعد فتحها لي ُدههّ ِن عهدا ً جديدا ً من الرحمة والتراحم والسّ َلم والم ُسالمة والصّفح والم ُسامحة لي ُعبّ ِد بذلك الطريق إلى بناء

الدولة.

وعفا (ص) عن أولئك النَّفر الثمانين الذين قصدوه عام الح ُديبية، ونزلوا عن جبل التَّنعيم، فلمَّا قدر عليهم م َنَّ عليهم بالعفو مع قدرته على الانتقام.

وعفا (ص) عن (غورث بن الحارث)، الذي أراد الفتك به حين اخترط سيفه (سيف النبي (ص)) وهو نائم، فاستيقظ (ص)، وسيفه في يَد ِ ابن الحارث مُصلتا ً، فانتهره ُ فوقع َ من يده ِ السيف، فأخذه رسول ا□ (ص) وقال له: مَن ينُنق ِذك َ من ّ ِي؟ فقال غورث: ح ِلم ْمنُك َ يا رسول ا⊡! فعفا عنه.

وعفا (ص) عن المرأة اليهودية (زينب أخت مرحب اليهودي الخيري")، التي سمّت الذراع يوم خيبر، فدعاها فاعترفت، فقال (ص): ما حملك ِ على هذا؟ قالت: أردت ُ أن أعرف إن كنت َ نبيّا ً لم يضرّك، وإن لم تكن نبيّا ً استرحنا منك، فأطلقها (ص) على الرغم أنّه مات — بعد ذلك — من سـُمّّـِها.

وخلاصة القول في أنّ المُسامحة من (عزم الأمور) هو أنّ مَن يصبر على الأذى — إذا كان المُسيء مسلماً — وغفر له بأن تركَ الانتصار (الانتقام منه) لوجه ا□ تعالى، كان صبره ومُسامحته من عزائم ا□ التي أمر بها، ومن عزائم الصواب التي و ُفّ ِق َ لها. ◄